العصفور بنقرته من البحر فقال لهم فالسكوت خير لكم ان كنتم تعلمون وثانيا
انتهى بالرب سبحانه اقتضاء الحكمة الي العفو والقهر اولم ينته الى ذلك فان
قالوا بالانتهى لزم العجز في حق الاله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وان قالوا انتهى
وله تعالى ان يفعل خلاف ذلك ابطلوا قولهم ورجعوا الى الحق الصريح والمذهب الصحيح
ثم انتقل السيد السمهودي رحمه الله تعالى بنقض مذهب الحنفية في التقبيح ودوح
فيه الدائرة قاصدا بذلك ادخال ابي حامد الغزالي في زمرتهم لانهم اهل السنة
والجماعة وكيف يصح ان يوافقهم ابو حامد وهو يهدم قولهم ويجعل عاليه سافله
ولا يخلو حال من يقبح بعقله في افعال الله تعالى من احد امور ثلاثة اما ان يدعي
الاحاطة بعلم الله تعالى واسراره في خلقه واني له بذلك وقد قال تعالى ربنا اوتيتم
من العلم الا قليلا وقال تعالى ولا يحيطون به علما واما ان يلتزم مقالة الخضر
لموسى عليهما السلام وفي ذلك اعتراف بسوء مذهبه وبطلان جرأته في تقبيحه
واما ان يلتزم قياس الحق سبحانه في افعاله على عباده في محاوراتهم ومخاطباتهم
وهو قياس فاسد كما سبق فالقول بالتقبيح في افعال الله تعالى فاسد
على كل احتمال وباطل على كل حال قال ابو حامد رضي الله عنه في الاقتصاد
فاستبان ان مأخذهم يعني الذين يقبحون في افعال الله تعالى اوهام
رسخت فيهم من العادات تعارضها اوهام امثالها ولا محيص عنها يعني
كما سبق له في امالتهم تعذيب المطيع وعكسه وقال ايضا هذا مع وضوحه
للعقل فلا ينبغي ان يغفل عنه لان اقدام الخلق واحجامهم في اقوالهم وعقائدهم
وافعالهم تابع لمثل هذه الاوهام فاما اتباع العقل الصرف فلا يقوى
عليه الا الاولياء الذين اراهم الحق حقا وقواهم على اتباعه وان اردت ان
تجرب هذا في الاعتقادات فاورد على فهم العامي مسالة معقولة جلية

فانه

فانه سارع الى قبولها فلو قلت انه مذهب الاشعري نفر وامتنع من القبول
وانقلب مكذبا بعدما كان مصدقا مهما كان سيئ الظن بالاشعري اذا
كان قبح ذلك في نفسه منذ الصبا وكذلك تقرر امرا معقولا عند العامي الا
شعري ثم تقول له ان هذا قول المعتزلة فينفر عن قبوله ويعدل الى التكذيب
بعد التصديق ولست اقول هذا طبع العوام في اصل التقليد بل هو طبع اكثر
من رايته من المتوسمين باسم العلم فانهم يفارقون العوام في اصل التقليد
بل اضافوا الى التقليد تقليد الدليل فهم في نظرهم لا يطلبون الحق فهم يطلبون
الجبلتم طريق الحيلة في نظرة ما اعتقدوه حقا بالسماع والتقليد فان صادفوا في نظرهم
ما يؤيد اعتقادهم قالوا ظفرنا بالدليل وان ظهر لهم ما يضعف مذهبهم
قالوا عرضت لنا شبهة فيضعون الاعتقاد المتلقف بالتقليد اصلا وينبذون
بالشبهة كل ما يخالفهم وبالدليل كل ما يوافقهم هذا كلام ابي حامد رضي الله عنه
وقول الحنفية ان خلاف ما تقتضيه الحكمة سفه قال ابو حامد رضي الله عنه في
الاقتصاد وهو خطا لان السفه فعل ما يتضرر الفاعل به وفعل ما لا نفع فيه للفاعل
ولا ضرر وكل ذلك انما يصح فيما يلحقه الضرر وفيمن تكون افعاله للاغراض والرب سبحانه
منزه عن ذلك قال رضي الله عنه وما لا فائدة فيه عبث والعبث على الله تعالى محال قال
ابو حامد وهذا تلبيس لان العبث عبارة عن فعل لا فائدة فيه ممن يتعرض للفائدة
فاما تسميته عابثا فمحال محض لحقيقة له ايضا كقول القائل الجدار غافل وخال
من العلم والجهل وهو باطل لان الغافل يطلق على القابل للعلم والجهل اذا اخلى عنهما
فاطلاقه ذلك على الذي لا يقبل ذلك محال لا اصل له فكذلك اطلاق العبث
على الله تعالى واطلاق العبث على افعاله انتهى كلام ابي حامد رضي الله عنه وفيه
اقناع وبلاغ وبهذا تعلم ما في قول السيد السمهودي ولدقة هذا المعنى

Copyright King Saud University